

ورد ذكر المسيح في 93 آية من القرآن. وإلى هذه الآيات يرجع التفكير الإسلامي، كل ما تناول شخص المسيح بالبحث.

وفي معظم الأحيان كان فقهاء المسلمين يلجأون إلى النصوص المسيحية لتفسير هذه الآيات. ومن يتأمل في كتاباتهم يرى أن هم تقبلوا من تلك النصوص كل ما اعتبروه موافقاً للفكر الإسلامي، ولكنهم رفضوا دوماً محاولة التوفيق بين الإنجيل والقرآن، بسبب التباين بين مجمل العقائد والأخبار الواردة في الكتابين. وفي حرصهم على الاعتقاد بصحة القرآن قالوا بتحريف الإنجيل، كل ما ناقض نصه القرآن.

وفي هذا البحث أحاول أن أظهر فكرة القرآن في تدريجها حين تعرض للعقائد المسيحية. والمباحث في نصوص القرآن يلاحظ أن الآيات المكتبة الأولى كثيرة المتعاطف مع المسيحية، إذ تفيض بالنعومة على المسيح وحوارييه والمسيحيين واليهود. ولكن ها في آخر عهد محمد في المدينة أصبحت قاسية. تتنكر للمسيحيين، وترفض ألوهية المسيح رفضاً قاطعاً.

1 ولما ريب في أن المسبب عقائدي محض. لأن محمداً رأى في عقيدة الثالوث ما يخالف الوجدانية التي نادى بها الإسلام وقامت دعوتها عليها. ودفعاً لأي احتمال في هذا الموضوع جاءت عدة نصوص قرآنية، تشجب عقيدة الثالوث وتتهم النصارى بالمشرك في الله والغلو في دينهم.

ولعل محمداً أخذ بثالوث أهل البدع من النصارى الذين كانوا منتشرين في شبه جزيرة العرب، والذين كان ثالوثهم مؤلفاً من الله والمصاحبة مريم وابنها عيسى. ومع أن أحداً من المسيحيين لم يقل بهذا إطلاقاً، فإن المسلمين جعلوا منها مشكلة لا يتنازلون عنها بالرغم من كل الإيضاحات التي قدمها المسيحيون في كل مناسبة.

2 وثمة مشكلة أخرى مزمنة سببها نص قرآني يقول: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّا فِي التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ سُورَةُ المصف 61: 6.

في حديث أخرجه أبو جعفر الطبري عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن الأعلى بن هلال السلمي، عن عرياض بن سارية، قال: سمعت رسول الله يقول: إنني عند الله مكتوب لخاتم النبيين. وأن آدم لمنجدل في طينته. وسأخبركم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، والرؤيا التي رأيت أمي. وكذلك أمهات النبيين يرين أنها رأيت حين وضعتني أن ه خرج منها نور، أضاعت منه قصور المشام.

ويتمسك المسلمون بحرفية هذه النصوص. فلم كان الإنجيل خلواً من أية إشارة إلى نبوة محمد، ومن أي قول بأن المسيح بشر به، قالوا إن الإنجيل محرف.

3 وهناك مشكلة ثالثة، سببها إيمان المسيحيين بما جاء في الإنجيل عن ألهم المسيح وصلبه كحقيقة أساسية لدينهم، بينما القرآن ينفي الصلب، إذ يقول عن اليهود: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَشِقْكَ مِنْهُمْ لَمَّا لَمْ يَدْعُوا بِهِمْ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا اتَّبَعِ الظَّنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا سورة النساء 4: 157-158.

ومشكلة رابعة سببها اعتقاد المسيحيين بأن المسيح هو ابن الله، وقد شجب القرآن هذا الاعتقاد بسلسلة من الآيات، سأوردتها في مكانها من هذه النبذة مع شروح الفقهاء وتعليقاتهم.